الفصل الثالث

جوانب ابن رشيق

١ – ثقافته ومصادرها :

الثقافة عند علماء الاجتماع هى طريقة الحياة فى مجتمع من المجتمعات ، وأهم عنصر فيها أنها من صنع المجتمع الذى يعيشها ، وأنها تشمل كل ما هو مشترك بين أفراده ، فطرق التسلية ، ونظم الحكم ، والعادات الدينية ، ومعايير الأخلاق وطرائق الحياة ، وكل ما يتعرض له جملة الشعب يسمى ثقافة ، وبحسب حظه منها ودرجته فيها يكون وضعه فى سلم الحضارة .

أما الثقافة عند علماء الأدب فهى مقدار ما يحصله الفرد من ألوان المعرفة التى تخدم اتجاهه الفكرى ، وتأتى للفرد إما من شيوخ يجالس إليهم ويتلقى عنهم ، ويروى لهم بعد أن يناقش أو يسلم بما يقولون ، وإما من شيوخ يأخذ عنهم بطريق غير مباشر ، وإنما بالوساطة ، ونعنى بالوساطة فى هذا المجال الكتاب أو الراوية إذ لم يكن فى القديم غيرهما فلا إذاعة ولا صحافة ولا شىء من هذا الذى وصلت إليه حضارتنا المعاصرة . ويضاف إلى هذين المشرعين استعداد الفرد نفسه ، وما يرزقه من قدرة فطرية يستطيع بها أن يعادل فيما يتلقى من الخارج أو يفهم فيه فهماً جديداً ، أو يبتكر ما لم يسبق إليه ، أو يتمثل الذى سمع ورأى وقرأ فيحيله شيئاً جديداً ، إلى غير ذلك مما تختلف القُدر فى التهدى إليه بحسب ما أعدت له .

وفى ضوء هذه اللمحة ننظر إلى ابن رشيق ، فنرى أن قد كانت وسيلته فى ثقافته كل أولئك ، فكان له شيوخ أخذ عنهم ، وامتدت يده إلى أكثر

ما عرفت المكتبة العربية يومئذ فقرأه ، وحفظ منه ، وأبدى فيه رأياً ، فقبل ورد ، وأطرى وذم ، وعدل وتمثل ، حتى كان علمه — كما يقولون — عامين ، علم رواية وعلم دراية .

وإذ كنا بحاجة إلى ما يشهد بأنه رزق استعداداً فطرياً ممتازاً فوق ما تشهد به آثاره التي سنعرض لها بعد ، فإنا نقول إنه كان ذا شاعرية من الطراز الممتاز . وهذا أوان أن نقول فى ذلك كله على تفصيل .

٢ — أساتذته :

وأريد بهم أولئك الذين تتلمذ عليهم ، وجالسهم ، وسمع منهم ، وأخذ عنهم مشافهة ومحادثة ومناقشة ، ولا أعنى من قرأ لهم ، فأولئك أكثر من أن يحصوا أو يعدوا . فمن شيوخه :

(ا) أبو عبد الله التميمى محمد بن جعفر القزاز ، قال عنه الأستاذ أحمد نجاتى : « كان شيخ اللغة فى المغرب ، إماماً علامة قيما لعلوم اللغة العربية ، مهيباً عند الملوك والعلماء ، محبوباً عند العامة ، وله مؤلفات فى اللغة والأدب ، توفى بالقيروان سنة ٤١٢هـ. عن نحو تسعين سنة » . (١)

وقال عنه تلميذه ابن رشيق « إنه صاحب الجامع فى اللغة الذى يقارب تهذيب الأزهرى » ، (٢) وله كتاب ضرائر الشعر . (٣)

وهو من أوائل شيوخ ابن رشيق ، الذين أخذ عنهم اللغة والأدب ، ولم تتعد تلمذته عليه بضع سنوات ، ونقل عنه فى كثير من أبواب عمدته . (٤)

(ب) أبو أسامة ، ولم أقف من خبره إلا على ما قاله فيه ابن رشيق ،

---

(١) هامش وفيات الأعيان جـ ٣ ص ١٦٣ .

(٢) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ١٠٥ .

(٣) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٨٣ أدب .

(٤) العمدة جـ ١ ص ١٤٤ ، ١٥٠ .

قال : «كان عالماً باللغة وقد عاصرته» ،[١] وهو وإن لم يصرح بالتتلمذ عليه فإنه يروى عنه ويسأله فيجيبه .

(ح) أبو محمد عبد الكريم بن إبرهيم النهشلى ، وترجم له الميمنى فى إسهاب[٢] والذى يعنينى فى أمر هذا الشيخ ، أنه كان أحد أساتذة النقد الذين أخذ عنهم ابن رشيق فيقول فى باب حد الشعر « وقال عبد الكريم : الشعر أربعة أصناف فشعر هو خير كله ؛ وذلك ما كان فى باب الزهد والمواعظ الحسنة ، والمثل العائد على من تمثل به بالخير وما أشبه ذلك ، وشعر هو ظرف كله ؛ وذلك القول فى الأوصاف والنعوت ، والتشبيه وما يفتنُّ فيه من المعانى فى الأدب ، وشعر يتكسب به ؛ وذلك أن يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها ، ويخاطب كل إنسان من حيث هو ، ويأتى إليه من جهة فهمه » .[٣]

وللنهشلى قطعة من كتابه « الممتع » بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤ مجاميع ش .

(ى) أبو إسحق الحصرى القيروانى . وذكر ابن رشيق أنه أدركه وهو صبى ، وهذا القول إن صح يرجح أن الحصرى مات سنة ٤١٣هـ. وذكر ابن رشيق أنه « أنشد بين يديه شعراً أعجبه »[٤] وقال عنه فى الأنموذج كما روى صاحب معجم الأدباء : « كان شاعراً نقاداً ، عالماً بتنزيل الكلام ، وتفصيل النظام ، يحب المجانسة والمطابقة ، ويرغب فى الاستعارة تشبها بأبى تمام فى أشعاره ؛ وتتبعاً لآثاره ، وقد كان أخذ فى عمل طبقات الشعراء على رتب الأسنان ، وكنت أصغر القوم سنًّا فصنعت :

رفقاً أبا إسحق بالعـالم حصلت فى أضيق من خاتم

---

(١) العمدة جـ ٢ ص ١٨٢ .
(٢) ابن رشيق ص ٤٠ .
(٣) العمدة جـ ١ ص ٩٨ .
(٤) قراضة الذهب ص ٣٧ .

لو كان فضل السبق مندوحة فضّل إبليس على آدم

فبلغه البيتان ، فأمسك عنه . واعتذر منه ، ومات وقد سد عليه باب الذكرة ولم يصنع شيئاً » . (١)

وقد أفاد منه ابن رشيق ونقل عنه فى أكثر من موضع بكتابه العمدة ، كما فى وحدة القصيدة جـ ٢ ص ١٦ بزهر الآداب فإنه هو الذى نقله ابن رشيق بكتابه العمدة جـ ٢ ص ١١٢ إلى غير ذلك . وعنه يقول : « كان شبان القيروان يجتمعون عنده ، ويأخذون عنه ، ورأس عندهم ، وشرف لديهم . وسارت تأليفاته . وانهالت عليه الصلات من الجهات » . (٢)

(هـ) الشيخ أبو عبد الله عبد العزيز بن أبى سهل الخشنى الضرير : ويقول فيه تلميذه ، كان مشهوراً بالنحو واللغة جداً ، مفتقَراً إليه فيهما ، بصيراً بغيرهما ؛ ولم يرقط ضرير أطيب منه نفساً ، ولا أكثر منه حياء ، مع دين وعفة » . (٣)

ويمكن أن نقول عنه إنه أخذ منه اللغة والنحو كما أخذ عنه النقد والبصر به ، فقد نقل رأيه فى القطع والطوال من القصائد . (٤)

(و) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم السمين ، ويكثر ابن رشيق من الرواية عنه وقد سأله عن المقاطع .

أولئك شيوخ ابن رشيق ، الذين وقفت على طرف من أخبارهم ، وتأكد لدى أخذه عنهم ، والذى لا شك فيه أن ثمة غيرهم ، ولكن لا سبيل إلى الحديث فيهم لقلة معلوماتى عنهم .

---

(١) معجم الأدباء جـ ٢ ص ٩٥ .
(٢) وفيات الأعيان جـ ١ ص ١١٣ .
(٣) بساط العقيق ص ٥٧ .
(٤) العمدة جـ ١ ص ١٦١ .

٣ ــ قضية منافسة :

وقبل أن نتحدث عن المصدر الثانى من مصادر ثقافة ابن رشيق نذكر أنه نفى عن نفسه دعوى أن يكون أخذ عن بعض معاصريه . وقد أشرنا فى الفصل السابق إلى أن هذا البعض الذى عناه فى تعريضاته إنما هو ابن شرف القيروانى للذى كان بينهما من المنافسة . لكن نفى ابن رشيق ــ بنفسه عن نفسه ــ لا ينهض حجة على صدقه ، فلنبحث عن مرجحات تؤيد هذه الدعوى .

إن التشابه قائم بين بعض ما جاء لابن رشيق من قضايا النقد فى كتبه ، وبين ما جاء منها لابن شرف فى رسالته . « أعلام الكلام » وليس بين أيدينا ما يشير إلى تاريخ تأليف رسالة أعلام الكلام هذه ، حتى نعرف من السابق ومن المسبوق فنعرف من الآخذ ومن المأخوذ منه . غير أن ذلك لا يحول بيننا وبين الاجتهاد .

وبقراءة مقدمة رسالة أعلام الكلام نرى صاحبها يقول : « وعزوتها إلى أبى الريان الصلت بن السكن بن سلامان ؛ وكان شيخاً همًّا فى اللسان ، وبدراً تمًّا فى البيان ، قد بقى أحقاباً ، ولقى أعقاباً ، ثم ألقته الينا من باديته الأزمات ، وأوردته علينا العزمات ، فامتحنا من علمه بحراً جارياً ، وقد حنا من فهمه زنداً وارياً ، وأدرنا من بره ظرفاً ، واجتنينا من ثمره طرفاً ، ونحن إذ ذاك والشباب مقتبل ، وغفلة الزمان تهتبل »[1] وصريح ذلك القول أنه ألف الرسالة فى صدر الشباب ، فإذا عرفنا أن مولده كان سنة ٣٩٠هـ. قدرنا أنه كتبها بين سنة ٤١٠ و ٤٢٠هـ. لأن هذه الفترة هى التى يمكن أن تعد سن الشباب . وإذ أن العمدة ألف ما بين سنة ٤١٢هـ ، ٤٢٥هـ . فإن الرجلين يكونان قد تعاصرا فى تأليف الكتابين .

وعلى هذا يكون ما ادعى على ابن رشيق من أنه أخذ عن ابن اشرف لامانع

---

(١) أعلام الكلام ص ١٣ .

منه ، وأن نفى هو عن نفسه ذلك الأخذ ؛ لا سيما إذا أضفنا أن بين الرسالة لابن شرف وبين العمدة لابن رشيق مشابه كثيرة ، فمن ذلك أن ترى رأيهما فى ابن الرومى قريباً من قريب .

يقول فيه ابن شرف : « وأما ابن الرومى فشجرة الاختراع ، وثمرة الابتداع ، وله فى الهجاء ما ليس له فى الإطراء ، فتح فيه أبواباً ، ووصل منه أسباباً ، وخلع منه أثواباً ، وطوق به رقاباً » . (١)

ويقول عنه ابن رشيق : « وكان ابن الرومى ضنيناً بالمعانى ، حريصاً عليها ، يأخذ المعنى الواحد ويولده ، فلا يزال يقلبه ظهرا لبطن ، ويصرفه فى كل وجه ، وإلى كل ناحية حتى يميته ، ويعلم ألا مطمع فيه لأحد » . (٢)

ويستفتح ابن شرف رسالته تلك بقوله « الضليل مؤسس الأساس ، وبنيانه عليه الناس ، كانوا يقولون أسيلة الخد ، حتى قال امرؤ القيس : أسيلة مجرى الدمع ؛ وكانوا يقولون تامة القامة ، وطويلة القامة ، وأشباه هذا ، وجيداء ، وتامة العنق ، حتى قال امرؤ القيس ، بعيدة مهوى القرط ؛ وكانوا يقولون فى الفرس السابق : يلحق الغزال ، ويسبق الظلام أو الظليم ، حتى قال : بمنجرد قيد الأوابد ، ومثل هذا له كثير » . (٣)

ويقول ابن رشيق فى مستهل رسالته قراضة الذهب : « وأنا أقتصر من جميع الشعراء فيما أورده على امرئ القيس ، لأنه المقدم لا محالة ، وإن وقع فى ذلك بعض الخلاف ، فالمميز الحاذق بطرق البلاغة يجد لكلامه من الفضيلة فى نفسه ما لا يجد لغيره من كلام الشعراء ؛ والبحث والتفتيش يزيدانه جلالة ، ويوجبان له على من سواه مزية » ، ثم يذكر أن له قيد الأوابد ، وأن له فى الليل قوله :

---

(١) أعلام الكلام ص ٢٤ .

(٢) العمدة جـ ١ ص ٢٣٧ .

(٣) أعلام الكلام ص ١٦ .

فقلت له لما تمطّى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

وقوله :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربى بسهميك فى أعشار قلب مقتل[١]

ويتحدث ابن شرف عن القدماء والمحدثين فى رسالته[٢]، فنرى ابن رشيق كذلك يتحدث عنهم فى كتاب العمدة[٣] .

غير أن احتمال أخذ أيهما عن صاحبه ، يعكره علينا أن ابن شرف يعود فى رسالته « أعلام الكلام » فيقول : ولعمرك ما أشكر من نفسى ، ولا أثنى على شىء من حسى ، إلا ظفرى بالأقل مما حاولته ، على ما أضرمته نيران الغربة من قلبى ، وثلمته صعقات الفتنة من لبى ، وقطعتْ أهوال البر والبحر من خواطرى ، وأضعفت الوحشة والوحدة من غرائزى وبصائرى ؛ وهذا الحديث يوحى بأن الرسالة كتبت بعد أهوال بر وبحر ، وبعد غربة وفتنة ، وبعد وحشة ووحدة ، ونحن نعلم ألا فتنه إلا فتنة المعز بن باديس التى كانت سنة ٤٤٥هـ. والتى دعت إلى فرار المعز من القيروان إلى المهدية سنة ٤٤٩ هـ. والتى كانت سبباً فى خروج ابن رشيق وابن شرف إلى صقلية ، ثم خروج ابن شرف وحده إلى الأندلس . فإذا كان ذلك ، فإنا نؤيد ابن رشيق فيما ادعاه لنفسه من أنه لم يأخذ عن غيره ، ومن أنه بالتبع لم يأخذ عن ابن شرف ، لأن رسالة ابن شرف على ذلك تكون قد كتبت بعد هذه الأحداث ، والعمدة على ما حققت ألف قبل ذلك بكثير[٤] ويكون ابن شرف هو الذى أخذ عن صاحبنا ، فلا يعدّ ، بعدُ ، من مصادر ابن رشيق لا فى العمدة ولا فى القراضة .

---

(١) قراضة الذهب ص ١٥ .

(٢) أعلام الكلام ص ٢٨ .

(٣) العمدة جـ ١ ص ٧٣ .

(٤) راجع ذلك فى ابن رشيق ونقد الشعر للمؤلف — ص ٧٥—٨٥ .

٤ ــ أوهام المترجمين :

ومما تجدر الإشارة إليه أن صاحب « الذخيرة » حين يتحدث عن ابن شرف يذكر فصلا على أنه من كلامه ويذكر أنه موجود فى صدر رسالته : « أعلام الكلام » فيقول : « ومن كلامه فى صدر كتابه الموسوم بأعلام الكلام ، فصل يقول فيه قد أطلت . . . » ولكن الرسالة بأيدينا وليس فيها شىء من هذا الذى يذكره ابن بسام ؛ فهل كانت الرسالة أكبر مما هى عليه اليوم ، وضاع منها . . أم أن ابن بسام نسب إليها ما ليس فيها ؟

ثم هو يقول أيضاً : « إن ما فى الرسالة مقامات عارض بها البديع » وليس ما فى الرسالة بمقامات تشبه أن تكون معارضة لمقامات البديع ، اللهم إلا أن يعد الرسالة كلها مقامة من هذه المقامات التى ذكر ابن بسام أن ابن شرف صنعها وجمعها فى كتاب « أبكار الأفكار » إذ يقول عن هذا الكتاب : إنه « يشتمل على مائة نوع من مواعظ وأمثال وحكايات قصار وطوال » . (١)

وأشير أيضاً إلى أن فى صاب رسالة « أعلام الكلام » كلاماً يبدو أنه ليس منها ، كأن تجد فيها بعد حديث أبى الريان عن أبى تمام العبارة الآتية : « قال ابن بسام أما صفته لأبى تمام فنصفة لم يثن عطفها حمية ، ولا تعلقت بذيلها عصبية ، حتى لو سمعها لا تخذها قبلة ، واعتمدها ملة ، فما لام من أدب وإن أوجع ، ولا سب من صدق وإن أقذع : » (٢) فهل هذه زيادة من الناسخ إذ كيف يكون منها ما يقوله ابن بسام وهو متأخر فى الوجود عن صاحب الرسالة : ابن شرف !

وبعد فبالنظر إلى ثقافة شيوخ ابن رشيق ، أولئك الذين تحدثنا عنهم ، نرى أنهم جميعاً أصحاب ثقافة أدبية تتصل أكثر ما تتصل بالنظر فى الشعر

---

(١) الذخيرة : المجلد الأول من القسم الرابع ص ١٤٠ .

(٢) أعلام الكلام ص ٢٣ .

والنثر وما يمت إليهما بسبب ، فلا عجب أن تأثر بهم ابن رشيق فكان إنتاجه كله فى وادى الأدب والنقد . وأعنى بهذه الإشارة أن ليس فيهم المؤرخ ولا المحدث ، فليس إذن فى إنتاجه ما يتصل بالتاريخ والحديث كما ذهب إليه بعض الذين أرخوه فنسبوا له كتباً فى هذين الفنين من فنون المعرفة على ما سنفصله بعد .

٥ ــ أثر المشرق فى ثقافته :

أما عن المصدر النثر فى ثقافة ابن رشيق فإنه أكثر ما كتب فى موضوع النقد قبله لا سيما الذى يصدر عن المشرق .

وليس همى هنا أن أحصى كل ما وقعت عليه يده ؛ إذ ليس إلى إحصاء ذلك من سبيل . وإنما أذكر طائفة مما قرأ ، وممن قرأ لهم ، ونقل عنهم ، وصرح به فى كتابيه القائمين بأيدينا ، وأعنى بهما العمدة ، وقراضة الذهب .

(ا) فهو قد قرأ للقاضى الجرجانى كتابه «الوساطة بين المتنبى وخصومه» وأكثر من الاستشهاد بآرائه ، ونقل كثيراً منها برمته ، راضياً عنها فى أحيان كثيرة يستطيع أن يقف عليها من يتصفح العمدة ، رافضاً لها فى بعض الأحيان ، أو مفسراً إياها كالذى نراه حين يقول عن البحترى :

« غير أن القاضى الجرجانى فضله ، بجودة الاستهلال ، وهو الابتداء ، على أبى تمام وأبى الطيب ، وفضلهما عليه بالخروج والخاتمة ، ولست أرى لذلك وجهاً إلا كثرة شعره كما قدمت ؛ فإنه لو حاسبهما ابتداء جيداً بابتداء جيد ، لأربى عليهما وقصرا عن عذره » . (١)

ولا يفوته أن يشهد للقاضى بالخير حين يقول « وقال الجرجانى ، وهو

---

(١) العمدة جـ ٢ ص ٢٠٤ . والعذر يريد بها ابتكاراته ومفردها عُذرة ، وهى فى الأصل علامة تعقد فى ناصية الفرس السابق دفعاً للعين .

أصح مذهباً ، وأكثر تحقيقاً من كثير ممن نظر فى هذا الشأن » . يريد السرقات .

(ب) وقرأ لابن وكيع كتابه «المنصف» ، وأبدى فيه رأيا لما قال : « وأما ابن وكيع فقد قدم فى صدر كتابه على أبى الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعر ، إلا الصدر الأول إن سلم لهم ذلك ، وسماه كتاب المنصف ، مثل ما سمى المديغ سليماً ، وما أبعد الإنصاف منه »[1] . وهذا الأسلوب يكشف عن قوة شخصية ابن رشيق ، وأنه يعتد بنفسه وبرأيه ، فيقبل ويرفض غير مقتف أثراً ، أو ماش فى سبيل غيره إلا أن يكون عن اقتناع .

(حـ) وقرأ للآمدى كتابه « الموازنة بين الطائيين » قراءة الدارس الذى يتمثل ما يقرأ ، فتراه يقول : « وكان أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى يفضل ابتداءات البحترى جداً ، وهو الذى وضع كتاب « الموازنة والترجيح بين الطائيين ، ونوه بالبحترى أعظم تنويه » . [2]

(ء) كما قرأ للحاتمى رسالته وأكثر من النقل عنها ، لا سيما فى باب السرقات .

(هـ) وكذلك قرأ للرمانى أبى الحسن ، ونقل عنه فى كثير من المواطن .[3] وأكثر ما يكون ذلك حينما يتعرض للحديث عن البلاغة وفصولها .

(و) وأكثر من الرواية عن الجاحظ — وله فى نفسه المنزلة الكبرى ، ولكتبه الأثر الواضح فى تأليفه وإنتاجه ، حتى لرجحت أن يكون ابن رشيق ، قد نهج منهجه ، وجرى فى أثره ، ولكنه كان فاضلا حين اعترف ، ويعترف له كثيراً بفضل السبق ، مع التقدم فى الزمن فيقول : « وقد استفرغ الجاحظ ، وهو علامة وقته ، الجهد : فوضع كتاباً لا يبلغ جودة وفضلا ، ثم ما ادعى

---

(١) العمدة جـ ٢ ص ٢٦٥ .

(٢) العمدة جـ ٢ ص ٢٦٦ .

(٣) العمدة جـ ٢ ص ٢٠٥ .

إحاطة بهذا الفن لكثرته[١] والكتاب الذى يشير إليه إنما هو البيان والتبين ، وأما الفن فالبيان .

وينقل عنه فى باب النظم أن « أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج »[٢] وكأنما ارتضى هذا الرأى فقال : « وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذى ذكره الجاحظ لذ سماعه ، وخف محتمله » .[٣]

(ز) ورأى ابن رشيق كتاب الجمهرة ، وقرأه ، ونقل منه حين تحدث عن المعلقات فقال : « وقال محمد بن أبى الخطاب فى كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب : إن أبا عبيدة قال : أصحاب السبع التى تسمى السمط ، امرؤ القيس وزهير . . .[٤]

(ح) أما عن ابن سلام الجمحى فما أوضح أثره فيما كتب ابن رشيق ، يصرح بذلك فى أكثر ما يأخذ عنه كأن يقول « إن للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم[٥] .

(ط) وكذلك أخذ عن ابن قتيبة ، وكان هذا فيما كتب مصدراً لصاحبنا فى كثير من معارفه التى كتب عنها ، فقد قرأ له كتاب « الشعر والشعراء » ونقل منه وسنرى أثر ذلك واضحاً كلما قرأنا موضوعات النقد عن ابن رشيق[٦] وقرأ له كتاب « المعارف » وصرح بذلك حينما تحدث عن غزوات الرسول فقال : « وكل هذا مختصر من كتاب ابن قتيبة ، وإياه قلدت فيما رأيت من هذه الطريقة » .[٧]

---

(١) العمدة جـ ١ ص ٢٢٧ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٢٨ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٢٨ .
(٤) المصدر السابق ص ٧٨ .
(٥) المصدر السابق ص ٩٨ .
(٦) المصدر السابق ص ١٩٠ .
(٧) المصدر السابق ص ١٢٩ .

(ك) وكالشعر والشعراء لابن قتيبة فى حياة ابن رشيق العلمية ، كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، فقد نقل عنه فصولا كاملة أو تكاد تكون كاملة ، ويعقب عليها أحياناً بالشرح والتوضيح ، كما يبدى فيها رأيه ، برضا أو برفض كأن يقول بعد أن ينقل قطعة منه ! « إلا أن قدامة أبى منه وأنكره جملة ، وليس ذلك صواباً » . (١)

وكما أوضحت فى كتابى « ابن رشيق ونقد الشعر » يمكن القول إنه اتخذ من قدامة إماماً فى كثير مما عرض له مما يتعلق بالشعر فى كتابه العمدة » لا سيما فى باب الأغراض .

كما لم يفته أن يقرأ كتاب « البديع » لابن المعتز ، وتأثره به جد واضح فيما كتب من أبواب البلاغة .

ويلفت نظر الباحث أنه لم يرو عن الأندلسيين ، اللهم إلا أن يكون عن صاحب العقد الفريد ، على قلة وندرة ، وتعليل ذلك فيما أرى ، أن أهل المغرب كانوا يتخذون من أهل المشرق وعلمائه لأنفسهم إماماً .

وثمة كتاب إعجاز القرآن للباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ. فإنه يتفق مع ابن رشيق حين اشترط النية والقصد فى الكلام ليعد من قبيل الشعر ، ولكن ابن رشيق لا يذكره ولا يشير إليه ، فهل قرأه وأخذ منه ورفض أن يصرح بأسمه ؟ وذلك مالم نألف من الرجل فى أمانته ، ولا يمكن أن يكون من توارد الخواطر اتفاقهما هذا .

وعندى أن كليهما أخذ عن الجاحظ فهو قبلهما ، وهو الذى عرض لهذا الشرط فى الكلام ليكون سعراً فى الاصطلاح .

وكما لم يذكر ابن رشيق كتاب الباقلانى ، فإنه لم يذكر كتاب «الصناعتين» لأبى هلال العسكرى ، ولعله لم يصل إلى يده .

---

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ٢١ – ٨٤ .

٦ ــ قدرته على تمثل المعرفة :

وإذا اعتبرنا استعداد ابن رشيق ، القطرى ، مصدراً من مصادر ثقافته على ما فى ذلك من تجوز كبير ، فإنا نذكر أن قد كان لهذا الاستعداد أثر واضح فى إنتاجه ، فلم يكن متلقياً عن شيوخه وحسب . ولم يكن مجرد قارئ لما كتب غيره قبله . ولم يكن مجرد وساطة فى نقل آثار المتقدمين ، وإنما كان فوق ذلك بكثير ، كان بوتقة تصهر ما يلقى فيها ، ثم تخرجه للناس شيئاً جديداً كل الجدة ، كان يسلط على ذلك كله من عقله وذهنه فيحياه خلقاً آخر ، برأيه وثقوبه ، يرضى عما يتلقى أحياناً ، ويرفض أحياناً ، ويناقش ويعارض أحياناً ثالثة ، فيذهب غير المذهب ، ويرى غير الرأى ، مما يؤكد أن كانت له شخصيته الواضحة فيما خلف من آثاره . وليس كما زعم عليه الدكتور مندور حين قال : « وتلا عبد القاهر مؤلفون ، بل وعاصره مؤلفون كأبى على الحسن ابن رشيق القيروانى المتوفى سنة ٤٦٣هـ أو سنة ٤٥٦هـ. صاحب العمدة الذى جمع فى كتابه الكثير من أخبار الأدب العربى والنقد العربى وعلوم اللغة ، دون أن يتضح للمؤلف منهج خاص وشخصية متميزة » . (١)

٧ ــ شاعريته :

يعتبر ابن رشيق بين شعراء عصره من المبرزين . وقد تقدم أنه هو وابن شرف ، كانا شاعرى قصر المعز لكن ابن بسام يقدم صاحبنا على ابن شرف « ويرفعه درجات » وابن رشيق نفسه يربأ عن أن يكون صغر سنه مما يؤخره عن شعراء القيروان فى نظر الحصرى حين هم هذا بوضع كتاب فى طبقات الشعراء ، يكون أساسه السن ، وقد تقدم خبر ذلك كله . وسيرد عليك مما نختار له ما يؤكد صدق دعوانا فى شاعرية الرجل .

---

(١) النقد المنهجى عند العرب ص ٢٨٨ .

على أن ابن رشيق لا يُزهى بشعره فوق درجته ، وإنما يضع نفسه موضعها ، فلا يتطاول على أمثال المتنبي أو البحتري أو أبي تمام ؛ قال ابن بسام : « ... وحدثت أن أبا على بن رشيق ناجى نفسه بمعارضة أبي الطيب فى بعض أشعاره وراطن شيطانه بالدخول فى مضماره ، فأطال الفكرة ، وأعمل النظرة . فأداه جهده وذهب به نقده إلى معارضة قوله :

أمن ازديارك فى الدجى الرقباء [1]

فبث عيونه ، واستمد ملائكته وشياطينه . . . ثم صنع قصيدة فيما بلغنى ، رأى أنها مادة طبعه ، ومنتهى طاقة وسعه ، ثم حكّم نقده ، ورضى بما عنده ، فرأى أن قصرت يداه ، وقصر مداه ، وعلم أن الإحسان كنز لا يوجد بالطلب ، وميدان لا يستولى عليه التعصب ، وصان نفسه عن أن يتحدث عنه ، بأن تكون الهرة أحزم منه »[2] ورحم الله امرءًا عرف قدر نفسه .

٨ ــ آثار ابن رشيق :

يعثر المتصفح لكتب الطبقات والتراجم ، على أسماء كثيرة لمؤلفات نسبت كلها إلى ابن رشيق . وسنتحدث هنا عما وقفنا عليه من ذلك ونناقشه ، ثم نحاول ترتيب ما يتأكد لنا أنه له ، ترتيباً تاريخيًّا ما أعانت على هذا وسائلنا ، ونخص كتبه الباقية إلى يومنا كلا بكلمة ، ولعل فى ذلك بعض القيام بحق الرجل.

فمما وردت أسماؤه على أنه كتب له ، وبقى منها وضاع ما يأتى :

١ ــ العمدة فى صناعة الشعر ونقده .

٢ ــ قراضة الذهب فى نقد أشعار العرب .

٣ ــ أنموذج الزمان فى شعراء القيروان .

٤ ــ الشذوذ فى اللغة . (يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة فى بابها) .

---

(١) هذا شطر مطلع قصيدة للمتنبي ، وشطره الثانى : إذ حيث أنت من الضياء ضياء .

(٢) الذخيرة ــ القسم الرابع ــ المجلد الأول ص ١٥ .

٥ ــ الرسائل الفائقة والنظم الجيد .

وهذه ذكرها له ابن خلكان حين ترجمه[١]، كما أثبت له فى ترجمة ابن شرف :

٦ ــ ساحور الكلب .

٧ ــ نجح الطلب .

٨ ــ رفع الإشكال ودفع المحال .

٩ ــ قطع الأنفاس .

١٠ ــ نسخ الملح ومسخ اللمح .

وقد ذكر هذا الكتاب ياقوت وروى له منه قوله :

المرء فى فسحة كما علموا ... حتى يرى شعره وتأليفه

فواحد منهما صفحت له ... عنه وجازت زخاريفه

وآخر نحن منه فى غرر ... إن لم يوافق رضاك تثقيفه

وقد بعثنا كيسين ملؤهما ... نقد امرئ حاذق وتزييفه

فانظر ــ وما زلت أهل معرفة ... يامن لنا علمه ومعروفه[٢]

ويشبه أن يكون ابن رشيق اتجه بشعره هذا إلى سيده أبى على ابن أبى الرجال . فمثل هذا الأسلوب ، والاتجاه به إليه كثير فى آثار الرجل ، وإذا صح هذا يكون ذلك الكتاب أو تلك الرسالة قد كتبت قبل سنة ٤٢٥ هـ. التى فيها توفى أبوعلى . وربما رجح ذلك الذى تقدم ما جاء فى نفس الكتاب من قوله :

ولا ملت عنكم بالوداد ولا انطوت ... حبالى ، ولا ولّى ثنائى مودعاً

إلى أن يقول :

فباينت لا أن العداوة باينت ... وقاطعت لا أن الوفاء تقطعا

---

(١) وفيات الأعيان جـ ٤ ص ١٦٢ ــ ١٧٠ .

(٢) معجم الأدباء جـ ٨ ص ١١٧ .

إذ تميل النفس إلى اعتبار ذلك الشعر مما قاله الرجل يعتذر به من غيبته عن ديوان سيده ، تلك الغيبة التى أشرنا إليها حين تحدثنا عن حياته .

١١ — سر السرور ، وذكره له ياقوت فى معجمه ، ونقل منه قوله :

معتقة يعلـــو الحباب متونها فتحسبه فيهـــا نثير جمان
رأت من بخين راحة لمديرها فطافت له من عسجد ببنان

وزاد صاحب كشف الظنون على هذه الكتب :

١٢ — شرح موطأ مالك .

١٣ — تاريخ قيروان .

وأضاف له صاحب بساط العقيق : (١)

١٤ — الروضة الموشية فى شعراء المهدية .

١٥ — ميزان العمل فى تاريخ الدول .

وذكر له عبد العزيز الميمنى .

١٦ — جزءا من ديوانه .

وقال عنه : موجود بمكتبة أسكوريال ضمن مجموعة : (٢)

وأثبت له الأستاذ نجاتى : (٣)

١٧ — طراز الأدب .

١٨ — المادح والمذام .

١٩ — متفق التصحيف .

٢٠ — تحرير الموازنة .

٢١ — الاتصال .

٢٢ — المن والفدا .

---

(١) بساط العقيق ص ٨٩ .

(٢) ابن رشيق ص ٨٣ .

(٣) حاشية وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٦٧ .

٢٣ ــ غرائب الأوصاف ، ولطائف التشبيهات لما انفرد به المحدثون .

٢٤ ــ كتاب الرياحين .

٢٥ ــ صدق المدائح .

٢٦ ــ الأسماء المعربة .

٢٧ ــ إثبات المنازعة .

٢٨ ــ معالم التاريخ .

٢٩ ــ التوسع فى مضايق القول .

٣٠ ــ بلغة الأشفاق فى ذكر أيام العشاق .

٣١ ــ الحيلة والاحتراس .

٣٢ ــ المساوئ فى كشف السرقات الشعرية .

وعلق الأستاذ نجاتى على ذلك الثبت بقوله : ويخيل لى أن بعض هذه الأسماء تراجم لأبواب من مشهور كتبه .

ولولا أن الأستاذ جعل الشك فى بعض هذه الأسماء لمخالفته لأن طائفة منها ثبت وجودها على أنها كتب مستقلة ، نقل ذلك أصحاب التراجم ، كسر السرور ، وفسح الملح ، والأنموذج ، وبعضها تحدث عنه ابن رشيق نفسه فقد ذكر فى كتابه قراضة الذهب أن له رسالة « المساوئ » وهكذا .

وأيًّا ما كان الرأى فى هذه الأسماء ، فأكثرها مفقود ، وليس بأيدينا منها اليوم إلا العمدة ، وقراضة الذهب ، والجزء من ديوانه بمكتبة الأسكوريال وسنخص العمدة والقراضة بكلمة فيما بعد .

٩ ــ شبهة وردها :

بقى أن الدكتور حسين مؤنس يذكر فى كتابه « فتح العرب للمغرب » أن ابن رشيق من ثقات أهل البلاد .. وممن تناولوا الكتابة فى تاريخ المغرب».[1] ولست أدرى على أى سند اعتمد الدكتور فى إصدار هذا الحكم ، اللهم إلا أن

(١) فتح العرب للمغرب ص ٣٠٩ .

يكون اعتمد على سعادة حسن حسنى باشا وزير تونس ، حيث قال « أما الفن الذى أفاض فيه ابن رشيق عرفانه ، وأطلق للقلم عنانه فهو التاريخ وفروعه ، فإنه وضع فيه "ميزان العمل فى تاريخ الدول" أتى فى ضمنه على الدول العربية قبل الإسلام وبعده إلى زمانه : ثم قال : « وهو مفقود الآن » ؟ (١)

وهذا كله يتعرض لمثل ما يأتى من الاعتراضات :

١ — إن حسن حسنى باشا لم يذكر لنا المرجع الذى ذكر هذا الكتاب حتى نناقشه .

٢ — إن الكتب التى ترجمت لابن رشيق كالمعجم ، والوفيات ، والبغية ، وشذرات الذهب ، إلى غير ذلك مما وقفنا عليه لم تذكر له ذلك الكتاب ، اللهم إلا كشف الظنون فقد ذكره ، ولكنه لم يذكر أنه أتى فيه على « الدول العربية قبل الإسلام وبعده إلى زمانه » وإنما قال : ميزان العمل فى التاريخ لحسن بن رشيق المتوفى سنة ٤٥٦هـ. اقتصر فيه على عدد الأيام من دول الماوك » . (٢)

٣ — إن ابن رشيق نفسه يذكر فى قراضة الذهب أن غارة للجراد وقعت بالمغرب وأن تحطاً نزل بالقيروان. ثم يقول «ولا أشك أن أصحاب التاريخ أثبتوا القصة والسنة التى كانت فيها » (٣) ومفهوم هذه العبارة أنه هو ليس من أصحاب التاريخ ولا من كتابه .

٤ — إن المترجمين القدماء اعتادوا أن يصدروا ترجماتهم بمذلكات تنم عما اشتهر به المترجم ، كأن يقولوا : العالم المؤرخ ، أو الشاعر الأديب ، أو الكاتب المترسل ، أو الرحالة الأديب الكاتب ذو الوزارتين . . . إلى غير ذلك مما يعطى فكرة عن أهم ما اشتهر به الرجل. ولا نجد فى جانب ابن رشيق شيئاً

---

(١) بساط العقيق ص ٨٩ .

(٢) كشف الظنون ج ٢ ص ٣٧٥ .

(٣) قراضة الذهب ص ٥٠ .

ينم عن أنه كان مؤرخاً . هذا فضلا عن أن الحكم « بالثقة فى التاريخ » لا يكون إلا بعد قراءة المادة التى كتبها المؤرخ ، وبعد عرضها على مقاييس الصحة والتوثيق فأين ما استنتج منه الدكتور بعض ذلك ؟ وحسن حسنى باشا يقرر أن الكتاب الذى نسبه إليه فى هذا الفن مفقود !

٥ ــ يضاف إلى ذلك كله أن ابن رشيق قال فى باب « ذكر الوقائع والأيام » بكتابه العمدة : « قد أثبت فى هذا الباب ما تأتى إلى من أيام العرب ووقائعهم ، ولم أشرط استقصاءها ، إذ كان فى أقل مما جئت به مقنع ، ولأن أبا عبيدة ونظراءه قد فرغوا مما ذكرت » . (١)

ويقول فى باب « معرفة ملوك العرب » « وأنا أذكر فى هذا الباب من ملوك النواحى من أخذه حفظى وبلغته روايتى ، على شريطة الاقتصاد والتلخيص ».(٢)

فترى معى أن الرجل لم يشر إلى أن له كتاب تاريخ ، ولا إلى أنه سيكتب فى التاريخ كتاباً « يقيس فيه عرفانه ، ويطلق فيه للقلم عنانه » وإنما الذى له « معلومات أخذها حفظه وبلغتها روايته » ، « على شريطة الاقتصار والتلخيص ».

وعلى هذا فالرواية قائمة على أوهام المتقدمين الذين ظنوا بعض فصوله فى كتبه ، كتباً مستقلة ، وتبعهم فى ذلك علماء من المحدثين .

وكإثباتهم له كتاب تاريخ ، إثباتهم له كتاب « شرح الموطأ » وليس فى حياة ابن رشيق ما يشتم منه أنه كتب فى الحديث ، لا شرحاً ولا متناً .

وقد أتيح لى فى فبراير سنة ١٩٥٥ ، فى أثناء انعقاد دورة المجمع اللغوى بالقاهرة أن أقابل سعادة حسن حسنى باشا ، فعرضت عليه رأيى فيما جاء بكتابه « بساط العقيق » بهذا الصدد ، فصوب ما ذهبت إليه ، وذكر لى أنه ينوى تصحيح ذلك فى طبعات الكتاب الجديدة ، وهذا خلق العلماء ، إذ لا يعنيهم إلا الحق حيثما بان .

---

(١) العمدة جـ ٢ ص ١٨٩ .

(٢) العمدة جـ ٢ ص ٢١٤ .

١٠ ــ ترتيب ما أمكن ترتيبه من آثار ابن رشيق :

لم تصل يدى على الرغم من كثرة التنقيب ، فى المظان التى توقعت أن يكون فيها ذكر لكتب الرجل إلى غير كتابى العمدة ، وقراضة الذهب ، وبعض ما جاء له من شعر متناثر فى كتب الطبقات . وهذه كلمة عن كل من الكتابين .

١١ ــ كتاب العمدة :

ويبدو أنه أول ما كتب ابن رشيق ، إذ يذكر فيه مقدمه على المعز بن باديس ، وإنشاده بين يديه ، وأنه ألفه للسيد الأمجد . . . آبى المظالم . . رجل الخطب وفارس الكتب أبى الحسن على بن أبى الرجال الكاتب [١] فإن وقع منه بموقع ، وحل من قبوله بموضع . . بلغ الإرادات ، ورجا الزيادات :

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه ... وأول الغيث قطر ثم ينسكب [٢]

وهكذا يبدو أن أول الغيث كان كتاب العمدة ، ثم تلته القطرات الكثيرة .

١٢ ــ رفع الكتب إلى الحكام :

وابن رشيق فى رفعه الكتاب إلى رئيس الديوان ، إنما يجرى على سنة العصر ، من تقديم الكتب إلى رجال السياسة والحكم ، فالجاحظ فى الشرق ، والقالى فى الغرب ، وغيرهم يرفعون كتبهم إلى الحكام ، حتى يضمنوا لها الرواج ، ويضمنوا لأنفسهم الرزق والعطاء . والحظوة والقربى عند من فى أيديهم أمور الملك وأسباب الحياة .

وإذ رفع الرجل الكتاب إلى أبى الحسن ، ودعا له فى آخره حين قال : وهذه أبيات كنت صنعتها للسيد أبى الحسن أدام الله عزه ، ختمت بها الكتاب لما جاء موضعها :

---

(١) العمدة جـ ١ ص ٣ .

(٢) العمدة جـ ١ ص ٦ .

إن الذى صاغت يدى وفمى ... وجرى لسانى فيه أو قلمى
مما عنيتُ لِسَبْكِ خالصه ... واخترته من جوهر الكلم
لم أُهدْه إلاَّ لتكسوه ... ذكراً تجدده على القدم
لسنا نزيدكَ فضل معرفة ... لكنهنَّ مصايدُ الكرم
فاقبل هدية من أشدتَ به ... ونسختَ عنه آية العدم
لا تحسب الدنيا أبا حسن ... تأتى بمثلك فائق الهمم

إذ كان ذلك — وأبو الحسن مات سنة ٤٢٥هـ . فيمكننا أن نقول بإن الكتاب ألف قبل هذه السنة[١] .

أما بداية التأليف فنحن نعلم أنه وفد على القيروان سنة ٤٠٦هـ. وأنه دخل على المعز بأول مدحة سنة ٤١٠هـ. ويغلب أن يكون دخوله على المعز من طريق أبى الحسن رئيس الديوان ، فيكون الكتاب أُلّف بعد هذا التاريخ .

وبوسعنا أن نحدد تحديداً أقرب فنقول : إن ابن رشيق يذكر عند حديثه عن موت دعبل الخزاعى بزويلة بنى الخطاب إن « هنالك قبره ، وإلى جانبه قبر عبد الله بن شيخه أبى عبد الله محمد بن جعفر النحوى — رحمه الله — »[٢] فإذا جعلنا دعاءه بالرحمة إنما هو لشيخه — على أساس عود الضمير لأقرب مذكور — دون أن يكون لابن شيخه ، صح أن نقول إن الكتاب ألف بعد سنة ٤١٢ هـ . لأنها السنة التى مات فيها الشيخ أبو عبد الله محمد بن جعفر .

وقد ذهب الميمنى إلى أن « العمدة » ألف بعد سنة ٤٤٩هـ . وهذا أغرب ما رأيت إذ فضلا على ما أسبقت من أدلة ، يستبعد العقل أن يظل ابن رشيق ستين سنة لا يؤلف فيها شيئاً ، حتى إذا اضطربت الأمور ، ووقعت الفتن وأخذ

---

(١) ذكر لى حسن حسنى باشا يوم لقيته سنة ١٩٥٥ أنه رأى على قبر أبى الرجال لوحة كتب عليها أنه توفى سنة ٤٢٦ هـ .

(٢) العمدة جـ ١ ص ٥٧ .

الرجل يحاول النجاة بنفسه من شرورها ، قال الميمنى — إنه ألف كتاب العمدة، أكبر كتبه .

١٣ — عناية العلماء بالكتاب :

وقد أعجب العلماء بالكتاب منذ ظهر ، فاختصره أبو عمر عثمان بن على بن عمر الصقلى ، قال ياقوت فى ترجمته (وله كتاب مختصر العمدة لابن رشيق، وقال عثمان فى مختصره هذا : « وقد ذكرت السرقات فقال لى —يعنى ابن رشيق— من قصيدة أولها — نقلتها من خطه . وقد أعلم عليه (ع) وهى علامة لنفسه :

دمع رأى برق الحمى فتحدرا ... وجوى ذكرت له الحمى فتسعرا
لو لم يكن هجرٌ لما عذب الهوى ... أنا اشتهى من هاجرى أن يهجرا
بينى وبين الحب نسبة عنصر ... فمتى وصلت وصلت ذاك العنصرا[1]

وقد ذكر صاحب كشف الظنون أن عثمان بن على هذا سمى كتابه «العدة» وارتضى الميمنى ذلك ، وكلام ياقوت عندى أولى بالقبول لتفصيله القول على ما تقدم . وقد وقفت أخيراً على هذا المخطوط بمكتبه بالمدية الإسكندرية تحت رقم ١٢٩٠ ب .

وكذلك اختصره ونبه على أغلاطه الأعلم الشنتمرى المتوفى سنة ٥٤٩ هـ. وسماه « مختصر العمدة والتنبيه على أغلاطه »[2] .

كما اختصره موفق الدين البغدادى .

أما عناية المحدثين بالكتاب . فتتضح فى أنك لا ترى مؤلفاً يؤلف كتاباً فى البلاغة أو النقد أو الأدب وتاريخه إلا ويستشهد بما كتب ابن رشيق فى العمدة وقل أن يخلو كتاب من نقل عنه أو أخذ منه أو استشهاد به .

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٢ ص ١٣٧ والبيت الثانى شبيه بقول المجنون :

إذا كان قرب الدار يورث حسدة ... فلا خير للصب المتيم فى القرب

(٢) نفح الطيب جـ ١ ص ٤٣٥ .

١٤ ــ قراضة الذهب :

واسمه الكامل « قراضة الذهب فى نقد أشعار العرب » وألفه بعد العمدة بلا شك لأنه يقول فى العمدة « على أن المحدثين شاركوا القدماء فى كل ما ذكرته أيضاً ، كما خالطوهم فى صفات النجوم ، وكثير مما لا يتسع له الباب ، ولكنى أفرد له كتاباً قائماً بنفسه أذكر فيه ما انفرد به المحدثون ، وما شاركهم فيه المتقدمون[١] » . أقول وذلك الكتاب ، هو القراضة لأن هذا موضوعه .

ويقول « وأنا أقول إن أكثر الشعراء اختراعاً ابن الرومى ، وسيأتى برهان ذلك فى الكتاب الذى شرطت تأليفه إن شاء الله »[٢] ويحقق هذا الذى أشار إليه فى القراضة[٣] .

وفى القراضة يقول « وفى كتاب العمدة من ذلك جملة صالحة [٤]» وهذا صريح كله فى تقدم العمدة عليها .

ويقول « والحذق فى الأخذ على ضروب أنا ذاكر منها ما أمكن وتيسر ؛ إذ ليست هذه الرسالة موضع استقصاء ، لا سيما وقد فرغت فى كتاب العمدة مما يراد أو أكثر »[٥]

وإذ رجحت قبلا أن العمدة كتب قبل سنة ٤٢٥هـ فإنى أقطع هنا بأن القراضة كتبت بعد سنة ٤٢٧هـ. بسنين عدة ــ قال ابن رشيق ، وكنت أنا قد صنعت منذ سنين عدة ــ وقد خرجنا للاستسقاء . فرجعنا وقد انتشر الجراد حتى كاد يحول بيننا وبين الشمس، وشق ذلك على الذى خرج للاستسقاء ، وكان شيخاً صالحاً مات سنة سبع وعشرين بعد القصة بمدة طويلة ، خرجنا

---

(١) العمدة جـ ٢ ص ٢٢٩ .
(٢) العمدة جـ ٢ ص ٢٣٢ .
(٣) القراضة ص ٣٧
(٤) القراضة ص ٢٠ .
(٥) القراضة ص ٢٩ .

بنية الغيث نستسقى وقد أوحشت وجوه البلاد ــ صنعت :

بينما نرتجى سحابة مــزن غشيتنــا سحابة من جراد
ليس من قلة ولا بخل رب إنما ذاك من ذنوب العباد[١]

١٥ ــ الأنموذج :

وبعض كتب التراجم تسميه النموذج ، وبعض المترجمين يزعم أن لابن رشيق كتابين بالأسمين وهذا من أوهام المتقدمين .

ومع أن الكتاب لا وجود له ، ولم يقع لأحد من المعاصرين ، فإن منه نقولاً كثيرة تدل على أنه كان موجوداً إلى بداية القرن السادس الهجرى . فابن ظافر المتوفى سنة ٦٢٣هـ . ينقل منه فى مواضع كثيرة بكتابه بدائع البدائه ،[٢] وكذلك ابن فضل الله العمرى فى كتابه مسالك الأبصار .

والكتاب ألف بعد العمدة أيضاً لأن ابن رشيق يقول « والشعراء فى قبولها مال الملوك أعذر من المتورعين ، وأصحاب الفتيا ، لما جرت به العاده قبل الإسلام . . وهذا باب قد احتذاه الكتاب فى زماننا إلا القليل ، وقوم من شعراء وقتنا أنا ذاكرهم فى كتاب غير هذا إن شاء الله » .[٣] فالأرجح أن يكون هذا الكتاب هو أنموذج الزمان فى شعراء القيروان .

١٦ ــ رسالة كشف المساوىء :

ويبدو أن موضوعها نقد بعض معاصريه كما يدل عليه الاسم ، ويقيناً كتبت قبل قراضة الذهب ، لأن ابن رشيق يقول فى القراضة : « ومما لا يعد سرقة أن تتفق قصة تقتضى صفة بعينها ، كالذى وقع لنا فى رثاء السيدة الجليلة ،

---

(١) قراضة الذهب ص ٥٠ .
(٢) معجم الأدباء ج ١ ص ٦٥ .
(٣) العمدة ج ١ ص ٦٧ .

من ذكر حلق الشعور ، ولبس المسوح ، وفى رثاء ابن زمام الدولة من موافقة الكسوف ، وقد بينت ذلك فى رسالة كشف المساوئ »[١] .

وقد حاولت معرفة السنة التى ماتت فيها السيدة الجليلة ، أو التى مات فيها ابن زمام الدولة ، أو التى وقع الكسوف فيها لأحدد سنة كتابة الرسالة ، ولكن لم تسعفنى المصادر .

١٧ ــ القطعة من ديوان ابن رشيق :

وهذه موجودة بمكتبة أسكوريال ، ذكر ذلك أصحاب دائرة المعارف[٢] ، الإسلامية كما ذكره الميمنى[٣] ، ولما كانت بعض شعره فليس فى الإمكان تحديد زمان إنشائها ، فالشعر يصدر عن الشعراء ، ويسير معهم فى حياتهم من أولها إلى آخرها .

وهذا أوان أن نقدم بين يدى القارئ نماذج من إنتاج ابن رشيق شعراً ونثراً.

---

(١) قراضة الذهب ص ٤٩ .

(٢) مجلد (١) عدد ٣ ص ١٨٠ تحت مادة « ابن رشيق » .

(٣) ابن رشيق للميمنى ص ٨٣ .